محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله

محمد الواثق

مدير معهد عبد الله الطيب للغة العربية

جامعة الخرطوم

2002/3/25م

ما بين الرجوع إلى سنار و الهروع إلى القاهرة

ولد محمد سعيد العباسى عام 1880 وعبد الله عبد الرحمن عام 1890 ثـــم تتالى سائر شعراء القرن العشرين قبيل أو بعد دخول الإنجليز للسودان عام1898م توفيق صالح جبريل 1897 ، أحمد محمد صالح بعد ســـنة مـــن ذلـــك ، يوســـف مصطفى التنى 1907 محمد أحمد محجوب 1908 والتجانى يوسف بشير 1912. نشأ هؤلاء فى فترة حكم الإنجليز للسودان عام 1898 وتعلم جلهم فى مدارســـه لا سيما كلية غردون .. إذن لا نتوقع لهم شعراً قبل بلوغ سن العشرين مما سيصادف العقد الثاني من القرن العشرين .

ملأ الفراغ مما قبل عام 1920 شاعران ممن ولدوا فى المهدية وأمتد بهـــم العمـــر .. كـــان أشهرهم قريب الله أبو صالح شيخ الطريق السمانية 1864-1936 واشتهر له ديوانه ((رشـــفات المدام)) ينبئ عنوان الديوان أنه شعر صوفي لا بد أن يكون فيه أدب السلوك والخمر الإلهية والغـــزل الصوفي .. تلفت النظر فى الديوان القصيدة الرائية التى تُذّكر بحادثة سراي الحاكم العام حـــين دعـــى الشاعر وحان ميقات الصلاة فأقامها فى السراي لكن لم يصل معه غير واحد والشـــيوخ موجـــودون وكان ذلك مجاملة للإنجليز ومجاراة للياقة معهم .. من يستحى من الذكر فهو كافر[1] :

فقد أشرك المخلوق مع مالك الأجر ومن يختشى أن يذكر الله فى الملأ

لتركهم المفـــروض فى حفلة الســـر تعـــرض قـــوم للوعيد بعمدهـــم

يديـــنون دين الكافـــرين بعمدهـــم وتأخـــيره عمـــداً حياءً مـــن الكفـــر

ينحو الشاعر الثاني إبراهيم التليب ذات المنحى الصوفي 1878-1928

ولا أقف كثيراً عنده إذ لم يكن يذيع شعره و لم ينشر ديوانه إلا عام 1965 م[2]

مناجاة الهلال والهجرة :

هو نمط من الشعر ساد العالم العربي والإسلامى فى هذه الفترة .. عادة ما تستوفى القصـــيدة من هذا الضرب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه واصحابه وأمجاد الخلافة الإسلامية وعادة ما تعرج على صفة المسلمين الحالية إذا ما قورنت بالأوربيين وعادة ما تستنهض القصيدة الهمـــم ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بأهداب الدين والأخذ بالتعليم .

عاف هذا النمط من الشعر فى السودان محمد سعيد العباسى والتجانى يوسف بشير ومحمـــد أحمد المحجوب وسائر شعراء مجلة الفجر وكذلك شعراء اليسار ولكن من ولجه كان أكثر ممن حـــاد عنه على رأسهم عبد الله عبد الرحمن وعبد الله محمد عمر البنا.

هذا شعر يتجدد كل عام لتجدد المناسبة وكان ينشد فى إحتفال المولد الذى يؤمـــه الحـــاكم العام فلا تلتمس فيه شيئاً من المصادمة . ستجد فيه وصفاً للتخلف الإجتماعى والحضاري وقد تجـــد فيه تعريضاً بمن كانوا أس أسباب التخلف (الطائفية والجهل) .. عادة ما ينشد شعر الهجـــرة فى الأندية .. والنمطان لا يختلفان .

إشتهرت قصيدة البنا[3]

يا ذا الهلال لذى الدنيا لذى الدين

حـــدث فأن حديثاً منك يشفينـــى

فقدساير الهلال نوحاً وما زال فتياً حتى عصر (زبلين) مخترع المنطاد الألمانى . بعـــد هـــذا التصوير يتحدث البنا عن العصر الأولى التى كانت شامخة فى بغداد ودمشق

سايرت نوحاً و لم تركب سفينتـــــه وأنت أنت فتى فى عصر زبليـــن
حدث عن العصر الأولى لتضحكنى فإن أخبار هـــذا العصر تبكـــينى
وأرمق بطرفـــك من بغداد داثـــرها واندب بها كل ماض العزم ميمون
وقبلها أنـــدب دمشـــقاً إنها فجـــعت بسادة عمـــروا الد نيـــا أساطيـــن

لا بد أن يذكر بعد ذلك تخلف الأمة وجهلها :

بليـــتم وبـــلايا الـــدهـــر إن نزلـــت فالصبر يكشف فيها كل مدفـــون
بأمة جهلـــت طـــرق العـــلاء فـــلم تسبق لغـــاية معـــقول ومـــخزون
فللـــمدارس هـــجران وســـخـــرية وفى المتاجر ضعف غير موزون

سبب كل هذا هو رجل بلا عقل ولا دين كالسامرى بعد أن إحتال بالدين للدنيا

وهيكل تبعته الناس عـــن ســـرف كالسامـــرى بلا عقـــل ولا دين
يحـــتال بالدين للـــدنيا فيجمعـــها سُحُتاً وتـــورده فى قـــاع سجـــين

العلاج أن ينتشر العلم .. هذه دعوة مبكرة تجعل الطائفية علة التخلف فى الـــبلاد فى وقـــت كانت فيه الطائفية متمكنة ، وقد سار على نهج البنا هذا شعراء العقد الثانى .. غير أن البنا لا يخلو من تناقض هنا . فهو قد مدح الإنجليز فى شخص اللورد اللنبى عندما زار السودان عام 1919 ثم مـــدح زعيم طائفة الأنصار السيد عبد الحمن المهدى ثم انقلب عليه ليمدح غريمه السيد على الميرغنى زعـــيم طائفة الختمية ..

لو اطرحت مثل هذا الشعر من ديوانه ولا سبيل إلى ذلك فهو كثير لوجدت أن سائر شـــعر البنا يعتلق بالبطانة و التي يرجع ليقيم فيها [4] :

فلو سكنت معنا البطانه   لما وجدت مثلها مكانه

وحدة وادى النيل :

عبد الله عبد الرحمن 1890-1964

تحتل صورة الملك فاروق الصفحة الأولى لديوان عبد الله عبد الرحمن" " الفجر الصادق " وتحت الصورة أبيات يخاطب بها الملك منها(5) :

أجل أنت أهلٌ أن يصاغ لك الدرُ ثناء وأن تدنو لك الأنجم الزهر

إليك مليك النيل أنة شاعر   يبثك ما تدرى وأنت به بر

يقدم عن سودان مصر رسالة   عن النفر النائى بهم مترل قفر

وإنا على الوادى المقدس إخوةٌ   حريصون لا يدنو لوحدهم بتر

كثيرون هم الشعراء فى مصر والسودان الذين تصدرت صورة الملك فاروق دواوينهم حتى إذا جاءت الثورة نزعت الصور من الكتب .. قد يحدث أن تحذف الأبيات التى يرد فيها إسم الملك كما حدث فى ديوان الشاعر محمد سعيد العباسى و لم يفعل ذلك بديوان أحمد محمد صالح .. فات على النازعين أن ذكر فاروق ما كان يعنى سوى تعضيد فكرة وحدة وادى النيل أكثر من كونه ثناءً للملك فاروق الذى لم يقابله العباسى ولا عبد الله عبد الرحمن . ويعنى رمزاً كراهة الأجنبى غير المسلم الذى إحتل الأرض . لذلك كان خطأً فادحاً من أبناء هؤلاء الشعراء نزع الصور وحذف الكلمات مسايرة لأوضاع إستجدت بعد عشرات السنين من نظم القصيدة .

قدم لديوان الفجر الصادق عالم مصرى هو السباعى بك بيومى أُستاذ الأدب بكلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول .. أمثال هذا التصدير من كتاب مصريين لشعراء سودانيين يكاد يكون ظاهرة شملت ديوان العباسى والتجانى يوسف بشير وغير ذلك من الدواوين التى قدم لها عبد المجيد عابدين مما ينم عن عمق الصلات الأدبية التى صارت تتنامى بين مصر والسودان .

مقدمة السباعى بيومى التى أجملت ما جاء فى ديوان الفجر الصادق هى فى الحقيقة لخصت ما كان يدور من أفكار فى الشعر صارت سمة للشعر السودانى فى العقدين الثانى والثالث فى القرن العشرين ..

ستجد أن الهجرة والمولد النبوى يحتلان حيزاً كبيراً من ديوان الشاعر يتلو ذلك الأمور المتعلقة بالنهضة الإجتماعية والتعليم وتعليم المرأة على وجه أخص . قد يدعو الشاعر لفكرته إن كان من أنصار وحدة وادى النيل مثلاً .. ولن يخلو ديوان لا يتعرض لنوادى ومؤتمرات الخريجين والدعوة إلى وحدة البلاد .. معلوم أن مؤتمرات الخريجين هذه إنبثقت منها الأحزاب الداعية للإستقلال أو الإتحاد مع مصر . هذا ما يتضمنه "ديوان الفجر الصادق" والذى سيغنينا عن تكراره عند شعراء آخرين ..

قصيدته ((ذكريات يجتليها مُحرّم)) تسير على نسق قصيدة مناجاة الهلال السابقة للبنا لكنه يضيف إلى ذلك أن الغرب سبقنا بركونه لعلمائه وكتبهم المتجددة .. وعلينا أن نتحد .. يعرج بعد

ذلك إلى اللغة العربية وكيف ضاعت ثم هناك دعوة صريحة للتمسك باللغة الفصحى ونبذ "الأدب القومى" ويعنى به الأدب الشعبى معارضاً بذلك ما دعى إليه محمد عبد الرحيم فى كتابه نفثات اليراع . وهى قضية شغلت مفكرى وصحف العقد الثانى والثالث .. جاء فى قصيدة محرّم

هو الشوق فى أحشائنا يتضرّم   إلى ذكريات يجتليها محرّم
بنى الشرق والإسلام فى كل موطن   يحييكم منى على النأى مسلم
ألا ليت شعرى ما دهى العرب إننى   أرى الجو فى افاقها يتسمم
أرى الغرب يعنى باللغات رجاله   وتمشى إلى أعلامها تتعلم
بنى وطنى إن قمت للضاد داعياً   فإنى أدعو للتى هى أقوم
ونبئت فى السودان قوماً تآمروا   على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا
وبالأدب القومى قالوا سفاهة   وما لحوا حقاً ولكن توهموا
ألا نحن عربٌ قبل أن لعبت بنا   صروف الليالى والجهول الغشمشم

كتاب عبد الله عبد الرحمن (العربية فى السودان) يشايع روح شعره حيث يقود الحجج على عروبة السودان وعروبة لغته .

يبتعد عبد الله عبد الرحمن عن سنار وصاحب الربابة جداً كما أبتعد عن البطانة عندما رفض الأدب القومى .. فقد إنتظم فى صفوف " فصحى قريش" فلا تكاد تجد فى شعره نكهة البطانة من ظباء ((أم خديد)) وأودية وأماكن فالشاعر عاش فى المدينة فانفعل بأنديتها ومؤتمرها وما يجره كل ذلك من سياسة .

من السخف بمكان ان يتبعه هو والبنا وأحياناً محمد سعيد العباسى تصنيف " مقلد " والتصنيف أصلاً قلد فيه اصحابه العقاد ومدرسة الديوان دون أن يتمعنوا فى طبيعة السودان (بطانة ، سنار) وإختلاف ذلك عما كان فى مصر .. ثم دون مراعاة لطبيعة الفترة التى كتب فيها هذا الشعر .. الفكرة الضخمة التى سعى لها عبد الله عبد الرحمن " وحدة وادى النيل" وعارضه فيها آخرون أضخم من أن تحدها أكليشيهات نقد مثل التقليد والتجديد والتى نرى أنها قد أُستهلكت .

محمد سعيد العباسى 1880–1963م

شاعر مقدم فى السودان يجرى فى ذلك فى قرن مع التجانى يوسف بشير.كافأ الإنجليز والده محمد شريف نور الدائم المناهض للمهدية بإبتعاث إبنه محمد سعيد لدراسة العلوم العسكرية فى مصر . إستعفى العباسى بعد سنتين من بدء الدراسة 1906 (6) ورجع للسودان مخيباً ظن الإنجليز فيه فلم يكترثوا له بعد ذلك و لم يكترث لهم . تركت دراسته فى مصر أثراً عميقاً فى نفسه صاحبه طيلة حياته .. قصيدته التى يبدأ بها الديوان كانت بعنوان " مليك الوادى المفدى " .. غير عنوانها إلى (ذكريات) كما تم حذف إسم الملك حيثما ورد فى الديوان(7) .. تمثل هذه القصيدة وغيرها منحى وحدة وادى النيل الذى كان العباسى من أوائل من دعوا إليه وإن لم يندرج فى حزب إتحادى :

أقصرت مذ عاد الزمان وأقصرا   وغفرت لما جاءنى مستغفرا
مصر وما مصر سوى الشمس التى   بهرت بثاقب نورها كل الورى
فارقتها والشعر فى لون الدجى   واليوم عدت به صباحاً مسفرا
سبعون قصرت الخطى وتركننى   أمشى الهوينا ظالعاً متعثرا

كذب الـذى ظـن الظنون فـزفها للناس عـن مصر حديثاً يفترى
والناس فيك إثنان شخص قد رأى حسناً فهام بـه وآخـر لايرى

فى القصيدة توجس وحذر من الساسة رسل القطيعة بين مصر والسودان:

فأربا بنفسك أن تكـون مطية للخادعين وللسياسـة معبـرا
وحذار من رسل القطيعة إنهم رهط قد إنتظموا ببابك عسكرا
ما ساقهـم حـب إليك وإنما حشـروا وجئ بهم لأمر دبرا

القصيدة تشى بأن دعاة الإستقلال هم صنائع الإنجليز ..

رجع العباسى إلى السودان فأحبط فيه .. قلبت له أسرته ظهر المجن فى حادثة خلافة زعامـة البيـت الطيبى السمانى ، و لم يجد عند الإنجليز موقعاً كما كان متوقعاً .. كان يتأسى أولاً بتذكر مصر[8]

فلو كان لى علم ما فى غد لما بعت مصر بسودانيهْ

وقد يبلغ هذا المنحى حدة لا تخفى كما فى قصيدته وادى الربدة[9]

صيرت عن كره قرى السودان لى مخيما
فارقت مصرا ذاكراً أرجاءها والهـرما
والنيل والجـزيرة الفيحـاء والمقطمـا

يعالج الإحباط ثانية بترك الخرطوم واجتياب سهوب غرب السودان كردفان ودارفور على ظهر ناقته – حقيقةً لا رمزاً – فينيخ فى وادى هور ، وادى الربدة ، دارة الحمراء ، النهود ، مليط التى يقـول فيها[10]

حياك مليط صوب العارض الغادى وجاد واديك ذى الجنات من وادى
كثبانك الغفـر ما أبهى مناظـرها أنس لذى وحشـة رزق لمعـتاد
فباسق النخل ملء الطرف يلثم من ذيل السحاب بلا كـد وإجهـاد
والورق هتف والأظـلال وارفـةٌ والـريـح تدفـع مـياداً لمـيّاد

لعل قصيدة رجوعه إلى سنار (سنار بين القديم والحديث) من أهم قصائده :

زرت سنار والجوانح أسرى زفرات هدت قوى الصبرهدا[11]
كنت مثوى للأكرمين وميداناً رحـيـاً لخيـلهـم ومنـدى
ورحاباً قـد زيـنت وقـباباً زان أرجاءها ملـيك مـفدى

لم يجد المليك المفدى عمارة دنقس أو بادى أبو شلوخ فى سنار إنما وجد فيها المستر جبسن الذى قد شاد خزان سنار والذى صيّر الأرض جنة قطن خضراء . اشاد العباسى بجبسن وبسنار الجديدة غير أن القديمة كانت هى التى تعتمل فى صدره

جبسن اسمع اوليت قومك فخرا وثناء يـروى واوريت زندا
جئت بالسد بالعجـاب فهـلا شدت بين البغاة والناس سدا

والقصيدة طويلة يرجع لها لأهميتها .

إذا مرّ العباسى بالخرطوم عرضاً فيبعث لمؤتمرها بقصائده " المؤتمر- المؤتمر " ويحث فى هذه القصـائد على التعليم كما جرت العادة .

يأتلف العباسى مع عبد الله عبد الرحمن فى إتقان الفصحى والفصحى أجود عند العباسى لأنها تنسلك فى مزاج البطانة الدوبيتى وفى الرجوع إلى سنار وفى كراهة المدن الحديثة .. العباسى كان قد أعاد نظم أغانى البدويات الدوبيتى والجرارى باللغة الفصحى .

التجانى يوسف بشير 1912 – 1937

ينافس العباسى فى ريادة الشعر فى القرن العشرين . كلاهما لازمه الإحباط والفقر الذى أودى بالتجانى مصروعاً بداء الصدر فى ريعان شبابه .. العباسى بدوى والتجانى شاعر المدينة إلى نخاعه .. يجمع بينهما أن كليهما تعليمه دينى مع تلفح التجانى بثوب الحداثة . كلاهما تشبث بمصر وأشاد به المصريون وقدموا لأشعاره وأكاد أجزم أن المصريين إكتشفوا شاعرية التجانى قبل أن يلتفت إليها السودانيون.

تبرجت الخرطوم للتجانى فهام بها(12)

مدينة كالزهرة المونقه تنفح بالطيب على قطرها
ضفافها السحرية المورقه يخفق قلب النيل فى صدرها
أحنى عليها الغصن الفاره وظلها العنقود من حادر
وهام فيها القمر الرافه يعزف من حين إلى آخر
قصيدة ألهمها الإله يراعةالفنان والشاعر

فى هذه المدينة أجناس من أبناء أثينا والشام والأرمن وشتى البلاد الأخرى ((المدن الرائحة الغادية)) مما أكسب الخرطوم بهرجها

ماج بها الشام ولبنانه والمدن الرائحة الغاديه
طوقها بالحب غلمانه وغيده اللاعبة اللاهيه

بيد أن الذين أضفوا على الخرطوم بهرجها هم الذين ضيقوا عليه رزقه فاستمتع بالبهرج من بعيد .

أبطرتهم بلادنا فتعالى إبن أثينا واستكبر الأرمنى(13)
يا بلادى أخلصتك الخيرواستعفيت ودى إليك من كل منّ
يا بلادى وأنت أضيق من رزقى مجالاً ودون أخرات أذنى

يخفف من حدة الإحباط واليأس عند التجانى إستغراقه فى مصر التى لم يستطع أن يجمع ثمن التذكرة للسفر إليها ، مصر التى كانت مجلة الرسالة تنشر له فيها شعره(14)

كلما أنكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعا وفكرا
نضر الله وجهها فهى ما تزداد إلا بعداً علىّ وعسرا

ينسحب التجانى بعد ذلك إلى الطفولة حيث يكون هو المسيطر على مخلوقاته التى يصنعها من الطين يعوض بذلك عن سيطرة الارمنى عليه .

يفرح الطين فى يدى فألهو جاهداً أهدم الحياة وأبنى
كم أشيد الحصى قصوراً وكم أكبر من شأنها وأقدر شأنى
وطنى فى الصبا الدمى والتماثيل ونفسى ومن أحب وأبنى

غير أن إنسحابه الأعظم كان إلى داخل النفس الذى تعتريه فيه الوساوس المدمرة وما يتعلــق بالــدين منها على وجه أخص .. فصل من المعهد بسبب شوشرة الوساوس .. قد يكون إنسحابه إلى داخــل النفس عنيفاً فينفصل عن الكون كلية ويتحد مع ذاته ولعل قصيدته ((فى الموحى)) من أعظم أعماله :

أذّن الليــل يا نبى المشــاعــر وغفــت صيحــة ونامت مشاعــر

قــم لمــوحــاك فى الــدجى بين صحــوان ندى وبين سهران ساكر

يرقب البدر مطلع الروح من هنّا وتســتقــدم النجــوم البــشــائــر

طــبعــت ساعــة التنزيل دنياك بوجــــدٍ كــوجــد هيمــان ذاكــر

أهّم التجانى بالغموض فى شعره ويقول محمد محمد على فى ذلك[15].. ((هذه الحداثــة ذات أثــر عميق فى هذا الغموض الذى يشوب شعر التجانى .. فهو عندما يحس أشياء يعجزه التعبير عنها فيلجأ إلى "الشرود" والخيال الجامح حتى تنقطع الصلة بينه وبين القارئ))

لا أعرف أن التجانى ترك مدينة أمدرمان التى لم يذكرها فى شعره ، فلا يلتمس مزاج البطانة فى شعره .. قصيدته الصوفى المعذب وما سار مسارها فى شعره هى أقرب إلى أشياء إبن الفارض والحلاج منها إلى متصوفة الأولياء والصالحين فى سنار الذين ذكرهم ود ضيف الله .

أحمد محمد صالح 1898 – 1973م

لم يتحدث الشعراء الذين سلف ذكرهم الإنجليزية والتى تحدثها بطلاقة أحمد محمد صالح حــتى صــار يعرف بالإنجليزى الأسود .. كان باكورة التعليم الذى إستنه الإنجليز . بيد أنه لا ينبغى أن تشغلنا لغته الإنجليزية هذه عن حقيقة شعره الذى لم تظهر فيه ثقافة مغايرة تميزه عن العباســى وعبــد الله عبــد الرحمن بل قد تكون الحداثة أبرز عند التجانى يوسف بشير منه .. أجاد أحمد محمد صالح اللغة العربية جداً وظهرت فصاحتها فى شعره والذى يحتل الشعر الدينى المرتبط بأدائه للحج حيزاً كبيراً فيه .

يتميز دون كثير من شعراء السودان والشرق الأوسط أنه تنبه لمآسى الحرب العالمية الثانيــة .. نظــم الشعر فى واقعتى إحتلال الفرنسيين لسوريا وحرب الطليان فى أرتريا (كرن) .. إشتهرت قصيدته فى دمشق التى إستدعى فيها ماضى الإسلام ثم إلتفت بعد ذلك إلى ديجول وعيّره بهزيمته أمام هتلر وأبــان أنه سيكون أول شامت إذا هُزمت فرنسا مرة أُخرى[16] :

صبراً دمشق فكل طرف باكى لما استبيح مع الظلام حماك

جرح العروبة فيك جرح غائرٌ بكـــت العروبـــة كلها لبكاك

جزعت عمان وروعت بغداد واهتزت ربا صنعاء يوم أتاك

جزعت لمصاب دمشق ايضاً الخرطوم وبيروت والروضة الفيحاء

قولى لديجول مقالة شامـــت أنسيت فى باريس نوح الباكى

أنسيت يوم أتاك هتلر غازياً وفررت لم تصبر ليوم عراك

قصيدته فى " كرن " لم تشتعل بمثل لواعج الخطباء التى شهدناها فى قصيدة دمشق .. ينعدم فى القصيدة الأخيرة الهتاف وتظهر غلبة الإنجليز على الطليان ممتزجة بجبال ووديان وأشجار ارتريا التى روعتها المدافع والطائرات .

لا مندوحة أن يرتبط ذكر أحمد محمد صالح بتيار الإستقلاليين فقد ذكر السيد عبد الرحمن المهدى كثيراً فى شعره ومدحه ورثاه وهو زعيم طائفة الأنصار والقائل " السودان للسودانيين " لم يدع لإستقلال السودان صراحة فى شعره لكننى لم أجد من مجموعة هذا التيار من دعى فى شعره لإستقلال السودان .. تركوا ذلك لمقالاتهم النثرية التى أودعوها مجلة حضارة السودان والفجر ..

كانت مقالات حسين شريف الداعية للإستقلال قوية وصريحة لا لبس فيها(17) .. ذكر أن الدين واللغة والنيل والتجاور هى من جملة أشياء تعمق التفاهم والصلات بين مصر والسودان لكنها لا تلغى فوارق الخصوصية بين الشعبين ثم أضاف أن مصر بلد متخلف مثلنا فالأفضل أن يرعانا الإنجليز الذين يمكن أن نفيد من تقدمهم إلى أن يشتد عودنا ثم ننال إستقلالنا .

تجد صدى هذه الدعوة فى مجلة الفجر وقد كان دهاقنة كُتابها محمد أحمد المحجوب وعبد الحليم محمد من أعمدة دعاة الإستقلال وكانوا من المقربين من السيد عبد الرحمن المهدى ..

محمد أحمد المحجوب :-

لن تجد صدى لدعوة الإستقلال فى قصائد شعراء الفجر المبرزين أمثال المحجوب ويوسف مصطفى التنى . بل عموماً لعلك تجد قلة الإكتراث بالشعر السياسى عند هذه المجموعة لا سيما المحجوب الذى إحترف السياسة وصار زعيم معارضة ورئيس وزراء ..

قصيدته " اللصوص "(18) وهى قصيدة ذات منحى سياسى رمزى نظمت متأخرة فى فترة الإنقلاب العسكرى الأول فى السودان ، كما أفاد ابنه سيد محمد أحمد المحجوب .. جل هؤلاء الشعراء لم يكونوا يدونون تاريخ نظم القصيدة:

هذه الدار

من تحكم فيها
سلبتها الحياة أغلى حلاها
وغدا مشردين بنوها
و الغزاة اللصوص توالوا
يحصدون الألوف دون قصاص
اقفرت جنة وصوح زهر
و العرين المنيع صعب المنال

صار للبغي مرتعاً ومقاماً

عندما غابت الأشعار الداعية للإستقلال صار يخيل للناقد غير المتبصر أن الدعوة لوحدة وادى النيل كانت أمراً مسلماً به على الأقل بين قبائل الشعراء .

هنا أيضاً أمور مهمة قد إلتبست على كثير من النقاد .. المحجوب والتنى وجل كتاب وشعراء الفجر كانوا من ثمار التعليم البريطاني وقد ربطت بينهم وبين الأوربيين علائق وثيقة لا سيما المحجوب . غير أن هذا لا ينبغى أن يخفى حقيقة أن الإسلام والعروبة كانا النبع الذى شكل أُطر الفكر والوجدان عند جماعة الفجر. فقصيدة المحجوب " الفروس المفقود" لا تختلف كثيراً عن بكائيات الأندلس وفلسطين فى الشعر العربى والسودانى مما يجعلها تنضح من ذات إناء عبد الله عبد الرحمن والعباسى.

بل نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول أن ثقافة جماعة الفجر كانت ثقافة مصرية إتكأت على " جماعة الديوان " فقد كان العقاد منارهم ووجدت دعوته للتجديد صدى لا تخطئه العين فى مجلة الفجر .. هم أنفسهم قد ذكروا تأثرهم بالعقاد وبالكتب والمجلات المصرية التى كانت تفد إلى السودان وعلى رأسها مجلة الرسالة . لعلى لا أعدو الحقيقة إن قلت أن أثر الثقافة المصرية كان أوضح عند المحجوب منه عند الشعراء الذين دعوا للإتحاد مع مصر .

بل كان إعجاب المحجوب بالقاهرة مرادفاً لأثر هذه الثقافة المصرية ، يقول المحجوب[19] : " وفي صيف 1930م ذهبت إلى القاهرة فكنت أذوق للحياة لذةً تعدل تلك التي كنت أحسها في القرية على الرغم من اختلاف الحياتين ... ففي القاهرة حركة صاخبة وفخامة في المظهر وسرعة مدهشة وفي القاهرة مرح المدينة المنظم .." يوزان المحجوب بين هذا وبين الخرطوم " حياة السآمة و الملل التي نسلكها وما نصادفه فيه من فتور الأجسام و الأذهان وتحجر العواطف وتبلدها" .

شغل المحجوب بالجمال في صوره المتعددة المثالي منه و الحسي ولعل هذا النمط من الشعر هو الغالب في دواوينه راجع قصائده : يا ربيع الحياة ، إليها ، جمال نادر ..إلخ " ديوان قلب وتجارب".

قصيدة المحجوب في رثاء جبران خليل جبران[20]:

الموت هدام وموتك باني　　　يعلو بيانك فوق كل بيان

وحياة مثلك لا يبين جلالها　　　حتى يغيب الجسم في الأكفان

صمتت لموتك ريشة الفنان　　　وخبأ ضياء ما له من ثاني

توضح القصيدة تواشجاً بين المحجوب و الشام قد يرتفع فوق تواشجه مع مصر ، شعر المحجوب قريب الملمس من شعراء الشام مثل بشارة الخوري وسائر شعراء المهجر الذين كان يتابعهم كما يتضح من رثائه لجبران ، راجع أيضا قصيدة " من بعيد بعيد " المهداة لفدوى طوقان:

فديتك فدواي أسعدتني　　　بنجوى الحبيب البعيد القريب

ابن اثينا و الأرمني و الشامي " المدن الرائحة الغادية " التي استعصت على التجاني يوسف بشير كانت كلها طوع يد محمد أحمد المحجوب ، وقد حفل بها شعره، وقد ناغم المحجوب كل هذه الجاليات اما في السودان واما في بلادها ولعل قصائده " تحية ، الهاربة " يوضح ما ذهبنا إليه .

أحمد محمد صالح والمحجوب وعبد الحليم محمد وجل جماعة الفجـــر ينتمـــون إلى " المدينـــة " تـــبرز أشعارهم وقصصهم وسائر كتبهم (موت دنيا للمحجوب و عبد الحليم محمد) نمط الحياة الحضارى الذى يعبر عنه بلغة عربية فصحى عرفوا دقائق ما أودعه المتنبى وإبن الرومى فيها .. ستعدم عنـــدهم نفس طه الضرير والطيب ود ضحوية من شعراء البطانة وسيحل موسيقار المدينة محل صاحب الربابة فى سنار .

عندما أدرك الشعراء الماضون الذين ولدوا عند فتح السودان النضج شهد عام 1920 قُبيله أو بُعيده ميلاد دفعة جديدة من الشعراء سيشغلون السوح الأدبية بعد عشرين عاماً فيصيرون المعالم الشـــعرية للعقدين الرابع والخامس من القرن العشرين .. من هؤلاء الشعراء عبد النبى عبد القادر مرسال ، محمد المهدى المجذوب ، منير صالح عبد القادر ، إدريس جماع ، عبد الله الطيب يليهم بعد فتـــرة قصـــيرة الشاعر الهادى آدم (1927) .

تكونت من هؤلاء عصبة عرفت بتعاضدها وهم منير صالح عبد القادر ، محمد المهـــدى المجـــذوب ، محمد محمد على وتتراوح تواريخ ميلادهم ما بين 1918-1922 يشـــاكلهم فى مشـــربهم الأدبى والإجتماعى توفيق صالح جبريل والذى هو أصلاً من جيل عبد الله عبد الرحمن وأحمد محمد صالح ..

صنف هؤلاء الشعراء شعراء الجيل الذى سبقهم كشعراء ((تقليد)) ولا يتـــورع محمـــد المهـــدى المجذوب فى مقدمته لديوان محمد محمد على (ظلال شاردة) من أن يجعل حتى شعراء الفجر "جيـــل التقليد الثانى" .

كانت قد أسفرت مجاهدات الجيل الذى سبقهم من توطيد مناحى السودان الحديث بعـــد أن تكلـــل الجهد بقيام مؤتمر الخريجين وإنبثاق الأحزاب عنه مما أفضى إلى أستقلال الســـودان عـــام 1956 .

كانت الطائفية قد ترسخت فى صورة زعيميها السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن المهدى واعتلق جل السياسيين بأحدهما أو الآخر .

من العسير أن تجد لشعراء هذا الجيل الثانى قضية كبرى تجمع أو تفرق بينهما كما كان الإستقلال أو الإتحاد مع مصر سمة من سمات الجيل الذى سبقهم . ما كان يجمع بينهم هو تمردهم على الجيل السابق يسخرون من ساسته وأحزابه وأفكاره ومن الطائفية التى إعتلقها ساسته على وجه أخص . قد تتعدى السخرية إلى الإستقلال نفسه والسأم منه .. تتفاقم السخرية من الجيل السابق إلى الإحتـــدام والـــذى تكون من عواقبه أن يستشرى شعر الهجاء فى أدبهم مما كنا نعدمه عند شعراء الجيل الأول .. إمـــامهم

فى كل هذا الشاعر توفيق صالح جبريل الذى اعتكف فى "الدهليز" ورصيفه محمد المهدى المجذوب . قصيدة المجذوب " إلى أين " أكتفى بها أُنموذجاً يوضح هذا الضجر والإحتدام[21]:

قيل استقل بنو السودان وابتدروا   يشيّدون مع البانين بنيانا
وما وجدت لهم فى النيل من وطن   إلا التفرق والعدوان أوطانا

الساسة الذين يديرون أمر البلاد هم أصحاب مواخير :

القوم تحت ظلال النيل فى سمر   حلم تبسم فى الأضواء نشوانا
الخمر تسهر والأكواب غافية   حينا وتصحو مع الشادين أحيانا
وفى الخميلة تحت الليل نائمة   سيارة لمعت كالنجم نعسانا
أنثى تقصّر فستاناً يغالبه   حسن روى يرد الصب ظمآنا

علم البلاد لا يسلم فالإستقلال الذى جاءوا به هو أعلام مزيفة :

ملوحين باعلام مزيفة   تذوب كالشفق الغربى ألوانا
بالأمس قال أنا الساعى لانقذكم   وعاد يلبسنا الأقباء أفنانا

الطائفية التى إستسلم لها الساسة ترد فى القصيدة على هذا النحو :

وفى المساجد كم أبصرت من وثن   يفرق الدين دين الله أديانا
أغوى ذوى العلم باسوا رجله وسعوا   يقربون له السودان قربانا

الحسرة التى تستعر فى جوانحه أنه ظن أن جلاء الإنجليز سيعقبه السودان الموعود :

حسبت أن جلاء الجند يعقبه   صبح ألاقى به السودان سودانا

الهادى آدم يذهب إلى تفاصيل كثيرة فى هذا المنحى .. نائب الدائرة لا يأتى إلا عندما تستحر معركة الإنتخابات يستميل صوته والهادى آدم يسخر منه ويحتقره . لعل قصيدته " لن أموت " توضح بجلاء مواجع هذا الجيل:

سيقال حين أموت مات وقد   أرضى (الرئيس) وجاد بالعمر
ويقال كان ملف خدمته   مثلاً لبذل الروح والصبر
إنى لأحجم عن مشاربهم   كى لا يطوق جيدهم شعرى
عهدى لعمرك لن أذل لهم   أبداً وفى عرقى دم يجرى

المتأمل فى أشعار هذا الجيل تصفعه فكرة مفهوم الإستقلال الذى هو غنائم إستلبتها الطائفية ومن أوجف فى ركابها من الساسة أمّا هم فقد خرجوا منها صفر اليدين .

شكى شعراء هذا الجيل من علقم الفقر ومن الوظيفة التى لا تجدى .. فسرى فيهم الإحباط .. كانت معالجتهم للإحباط مدمرة فقد ركنوا للخمر التى لا يكادون يستفيقون منها . قصيدة " حديقة العشاق " لتوفيق صالح جبريل تكفى مثالاً [22]:

نضر الله وجه ذاك الساقى   إنه بالرحيق حلّ وثاقى
إئتنى بالصبوح يا بهجة الروح   ترحنى ان كان فى الكأس باقى

يتخالل الأباريق الدعر وقد بلغ المجذوب ومحمد محمد على وتوفيق شأوا من التصريح بالتهتك لا مواربة فيه . يقول توفيق فى ذات القصيدة :

ظلت الغيد والقوارير صرعى   والأباريق بتن فى اطراق
وتلاقت فى حلبة الرقص أيد   وخدود والتف ساق بساق
والغوانى الحسان بين يدينا   تتثنى فى القيد والإطلاق
أقبل الصبح والنهود شهود   مسفرات أما لها من واقى

قد لايكون تدمير الذات كله على هذه الشاكلة لكنه قد يكون قاتلاً أيضاً .. انسحب إدريس جماع ألى داخل نفسه وأصابه الذهول وشرود العقل حقيقة لا مجازا وصاحبه المس إلى وفاته . كان يتأسى بتذكر مصر وقصيدته " لقاء القاهرة " التى توضح هذا من جيد شعره :

أألقاك فى سحـــرك الساحـــر   منى طالما عشن فى خاطرى
غـــدا نلتـــقى وغـــدا أجتلـــى   مباهج من حسنك الشاعرى

يشاطره فى الإنسحاب إلى مصر عبد النبى عبد القادر مرسال ومحمد محمد على والهـــادى آدم الـــذى تغنت أم كلثوم بقصيدته " أغداً ألقاك " يجب الإحتراس هنا فمصر عند هـــؤلاء الشـــعراء لا تعـــنى الإنتماء لتيار وحدة وادى النيل ضربة لازب بقدر ما تعنى الحنين لفترة الدراسة التى قضاها هـــؤلاء فى مصر .

الإحباط ثم الإنسحاب إلى الداخل قد يؤدى إلى الوساوس ومن ثم التوتر الدينى كما عند منير صـــالح عبد القادر فى قصيدته " نافذة إلى الله " :

أأكبر فـى الدهر أم أصـغر   وقد ذهـب الجانب الأكبر
وكـم مـن سـؤالٍ وراء سـؤال   تـوقـف يـرنـو ويستفسـر
فزادت فكانت خطايا جساما   لهـا مظـهر ولهـا مخـبر

مع كل هذا الإحباط الذى يقود إلى التوتر والموبقات إلا أنك تلمح نقاء وجوهرا دينياً وإن كان قـــد صدئ إلا أن النار لم تخب .. ترى ذلك فى محتوى أشعار وعناوين دواويـــن المجـــذوب مثـــل "نـــار المجاذيب" و"الشرافة والهجرة".

عن كتاب "الشعر السوداني في القرن العشرين"

أ. محمد الواثق

عبد الله الطيب 1921 :

هو صديق للمجذوب ومحمد محمد على ومنير صالح عبد القادر وهو القائل :

حيّ الرئيس رئيس القول و العمل

لله درك يا محجوب من رجلٍ

كان يهديهم دواوينه وأشعاره و كان قد أُحبط إحباطهم لكنه لم يتوغل فيما توغلوا فيه .. إنسحب عبد الله الطيب إلى الكتب فصار عالم العربية يقرن بطه حسين ومحمود محمد شاكر وقد كان معهم عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .. نال جائزة الملك فيصل عن كتابه الفذ فى النقد " المرشد إلى فهم أشعار العرب " هو الى جانب العربية قد توغل فى الإنجليزية وكتب بها .. شعره متشعب طوقت مضامينه أفريقيا وأوربا ومالا أكاد أحصى من البلاد وشغلت لندن جزء معتبراً من ديوانه " أصداء النيل " وكان النيل مرتكز شعره .

عندما إحتك بلندن بأدئ الأمر أصابه الإرتباك .. الإرتباك فى الشوارع أولاً كما يظهر فى قصيدته " مزدوجة لندن "

أفرق من شئ و من لا شئ لا أنا الجانى ولا البرئ[23]

أخاف أن تصدمنى سياره فالمشى يحتاج الى مهاره

- كانت سحنته السوداء قد ذعرت الأطفال فهدهدهم أمهاتهم

أسأل مرتاباً أتلك حانه فى بلد فصيحه الرطانه

أختلس المدخل فى المطاعم خشية طرف عاذر أو لائم

وذات طفل أسكتت صغيرها لما رأت من سحنتى ديجورها

كان من أوائل من أشاروا الى التمييز العرقى وإضطهاد الملونين بعد أن جبه ذلك بنفسه ثم مشى من بعده فى هذا صلاح أحمد أبراهيم . رجع عبد الله الطيب للسودان بعد فترة الدراسة فى لندن ثم صار علماً من أعلام التعليم فى السودان لكنه ووجه بمكائد (أبناء اللكيعات) فكاد يشله الإحباط .. يلوذ عبد الله الطيب فى كل دواوينه بالرسول صلى الله عليه وسلم كان أخر دواوينه صوفى المنهج " برق المدد بعدد وبلا عدد " تذخر دواوينه " أغانى الأصيل " بانات رامه " بذكر أهله فى الدامر وطبيعتها حيث يكثر ذكر شجر الأراك والتنضب والسلم وكثيراً ما يعرج على ذكر اهله من متصوفة المجاذيب وسنار .

يتهمه من لا يفقه العربية بوعورة اللفظ ومن لا يحسن الإنجليزية وثقافة الأوربيين بركوب الناقة فى لندن .

عبد الله الطيب وقريبه محمد المهدى المجذوب من ابرز السودانيين إلتصاقاً بالبطانة ونايًا عن المدينة خلاف منير صالح عبد القادر وتفيق صالح جبريل اللذين كانت المدينة عصب حياتهم .

جيل ما بعد الإستقلال :

توافدت كوكبة من الشعراء فى العقد الثالث ستظهر أثارها فيما بعد إستقلال السودان عام 1956م .. يقع الإختيار من بين شعراء كثّر على محى الدين فارس، جيلى عبد الرحمن ، تاج السر الحسن ، صلاح أحمد إبراهيم ان كنت أختتم بهم فلأنهم ظللوا الساحة بعد جيل المحجوب .

راتباً وصم شعراء هذه الفترة من سبقهم من الشعراء بالتقليد ثم شرعوا فى إبراز الحداثة كما يجب أن يكون عليها الشعر .. لكنهم سرعان ما نقضوا معايير هذه الحداثة بأيديهم قبل أن يتكفل بذلك الجيل الذى سيليهم ويتهمهم بالتقليد حذوك النعل بالنعل .

الشعر الطليعى :

يشار الى صلاح أحمد إبراهيم وجيلى عبد الرحمن وتاج السر الحسن كشعراء الفكر التقدمى والحزب الطليعى قبل أن تتهاوى النظريات والأشياء من حول النظرية .. كنت قد كتبت عدة مقالات عن طبيعة الشعر الطليعى والرموز التى عليها فى فترة عنفوانه ..

لم تكن الأممية العالمية قد حددت لهذا الفنان الملتزم مساراً يتقيد به ما عدا الألتزام بكفاح الشغيلة و التغير الإجتماعى .. لكنه بدأ لى بعد الحرب الكورية والدعوة للسلام .. ، أن ثمة رموز شعرية برزت وظفها الشاعر للدعوة للسلام .. تواترت رموز المسيح الداعية للسلام ، وغصن الزيتون وحمامة السلام ثم الأسلحة التى تفتك بالأطفال .. تظهر كثير من هذه الرموز فى قصيدة البياتى :-

واغرورقت عيناه بالدموع
وقال لى يسوع
بالأمس مرّ من هنا يسوع
طلعته حمامة
عيناه غصنان أخضران

أما الأسلحة فقد أنشأ لها بدر شاكر السياب قصيدة طويلة عنوانها الأسلحة والأطفال .. أضاف السياب الى هذا رموز أنشودة المطر ، المومس، والسندباد والبحار .

لم يتقيد السودانيون الطليعيون كثيراً بالرموز التى جاءت فى قصيدة البياتى ماعدا رمز الحمامة ، ومال جلهم طليعيون وغير طليعين الى رمز المومس والمطر والجفاف فالسندباد والبحر مما يوحى (بتقليـــد) السياب .

كانت الشغيلة وكفاحها ومآسي المدن والأقطاع من أبين السمات لهذا الشعر الطليعـــى فى الفتـــرة الأولى والذى كان يصاحبه إعلام ضخم ... قد تجى القصيدة مثل هتاف المظــاهرة والمواكـــب لا يتقيد الشاعر فيها كثيراً بأدوات الزينة الفنية للشعر ، فالقصيدة تركن للمباشرة .. قصيدة تاج الســـر الحسن " عطبرة " قد تكون مثالاً لهذا :

مدينة الحديد واللهيب
مدينة الشغيلة الأحرار والنضال
تنــاثرت مــن حولهــا المداخن الطوال
تحلــم دائمــاً بالمشــهد العجيب

وموكـــــب الشـــــغيلة الأحرار والنضال

والعلــم الــذى طوّقــه الحمام

يشقق الظلام

شــمال أفريقيــا تعــود تحمل السلاح

ويُضــرب العمــال فــى مصانع النسيج

تاج السر الحسن تخلى عن مثل هذا فى أشعاره اللاحقة ورجع إلى غرب السودان فامتزجت الطبيعة الجميلة هناك " بالنظرية " مما أكســب شــعره حيوية ..

زميله جيلى عبد الرحمن ارتحل من قريته " عبرى " إلى القاهرة ليعيش فيها حقبة من الزمن .. قصيدته " شوارع المدينة " تعنى بشوارع القاهرة لا الخرطوم ولا ضير فمثالب المدن تتشابه عند الطليعيين ..

شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيوت
قهقهة الشغيلة المحنية الظهور
محمومة الصدور
ترن كالصخور .. فى مصنع يدور
وتبعث الأضواء للقصور للفجور

قصيدته :

أحن اليك يا عبرى   حنينا ماج فى صدرى

تترك أثراً عميقاً لدى القارئ . ترتبط عبرى بطفولة الشاعر وبساطة أهلها ، وتخلفها الإقتصادى لايحجب الطيبة التى يتميز بها أهلها مع ضنك معيشتهم . قصيدة عبرى من هذه الناحية تؤدى الغرض الذى قيلت من أجله بكفاءة فنية قد نفتقدها فى قصيدة شوارع المدينة . جيلى عبد الرحمن وتاج السر الحسن درسا اللغة العربية فى مصر . درس معهم فى مصر كذلك محى الدين فارس الذى يمثل تياراً عريضاً شايع الطليعيين وإن لم يكن منهم مصطلحاً ولكنه إحتطب معهم دون أن يكون لديه حبل النظرية ..

قصيدته :

سأظل أرتقب الحصاد
أختاه قد حان الحصاد حصاد عالمنا المجيد
سأظل أصعد من جديد
أكبو وأصعد من جديد
الويل للمتساقطين
كأنهم ورق الخريف على طريق العابرين
ثم أنثنوا متقهقرين
هشيم أعشاب تذرّيها أعاصير السنين

ديباجة القصيدة طليعية غير أن " الأنا " المبثوثة فى القصيدة تحول دون الجماعية التى تفترضها النظرية .. يخفف من حدة الأنا اللا طليعية فيها عنوان القصيدة " السَّلم " والذى ذكر الشاعر أنه إستوحاه من السيمفونية الخامسة وهذا أمر غريب فموسيقى بيتهوفن تمثل عند الطليعيين تخثر الرأسمالية .

كان قد سلك هذا الدرب الطليعى من قبل محى الدين فارس محمد محمد على ومحمد المهدى المجذوب لكن فى شئ من التوجس . عندما أضلهما الدرب رجع محمد محمد على إلى ما كان يحسن فشمخت قصيدته البطانية " الدوحة الذاوية " كما رجع المجذوب إلى إرث أهله فى ديوانيه "نار المجاذيب ""والشرافة والهجرة". ولعلها كانا أكثر تقدمية هنا فيما اصطنعاه إصطناعاً

لاريب أن صلاح أحمد إبراهيم هو ما يعشو إليه الناقد عند تلمس ريادة الشعر الطليعى فى السودان . لقد تجاوز هو وشعره حدود بلاده حيث إستضافته فرنسا بعد كرب جسام مات من جرائها فى سن يانعة .

لصلاح حس مرهف بالجمال يستعصى أن تحدق به أى نظرية أو أن تكبله أى قيود .. لعل هذا الحس المرهف هو الذى قد قاد إلى المصادمة المبكرة والمتوقعة مع الحزب .. كانت حادثة موت الفلاحين إختناقا فى " عنبر جودة " قد أثارت الرأى العام على إختلاف مشاربه واقتلعت من صلاح قصيدة جاءت عفو الخاطر أكثر من كونها مدفوعة بنظرية .. تنم قصيدته (جودة) عن تعاطف فطرى مع الضعفاء ..

أجد أن شعره ابتعد عن سحنة الهتاف وقصيدة المظاهرة والموكب وانعطف إلى التغليف الرمزى .. قد يغرب الرمز عنده أحيانا إلى مناط الميثولوجيا الإغريقية مما تحتاج القصيدة معه إلى شروح الهامش ومن ثم تفتقر إلى تلقائية الإستيعاب لدى القارىء العادى ..

يتشعب شعره عندى إلى وجدانى صرف يعتلق بالجمال المطلق وآخر ذى قضايا مشتجرة قد تحركها النظرية أحيانا من وراء وراء وفى كلا نمطى شعره يبث ثقافة عميقة تنحدر إلى جذور أوربية وأخرى ضاربة فى التراث الإسلامى .

إشتهرت قصيدته (مرية) المتدفقة من ينبوع الوجدان والجمال المطلق :

يامرية

ليت لى إزميل فدياس وروحا عبقرية[24]
وأمامى تل مرمر
لنحت الفتنة الهوجاء فى نفس مقاييسك
تمثالا مكبر
وجعلت الشعر كالشلال بعض يلزم الكتف
وبعض يتبعثر
ليتنى فى قمة الأوليمب جالس
وحوالى العرائس
وأنا فى ذروة الإلهام بين الملهمات
أحتسى خمرة باخوس النقية

فى القصيدة بعد فدياس (وهو نحات أثينا العبقرىّ فى فترة إضطراب ديمقراطيتها وقد إشتهر تمثاله للإله زيوس) تجد برومثيوس ويوليس(كثيرا ما يعرب عولس) ثم هيلين .. هذا حشد كبير من الآلهة الإغريقية وأساطيرها فى قصيدة حيزها ضيق. مرتكز القصيدة ذاتى جمالى بحت لا تتداخله هموم القحط الذى تجده فى قصيدة استسقاء:

أيا رياح الخير يا رياح
طال علينا شظف العيش وغلظه الكفاح
واقتنص الموت ذرارينا وأهلك السراح
يا غوث يا سحاب
يا قرب الرحمة يا خزائن المعروف
يا نجدة الملهوف
نقول يا سحاب
طال علينا المحل واشتد العذاب
وما لنا سواك باب . ما لنا سواك باب
وحينما ترزم فى إصطخاب
نسجد شاكرين يا سحاب

هنا تختفى مرية وأمثالها والشعر الذاتى كلية وتسرح القصيدة فى هم المحل والرعاة واليباس . صلاح لا يزاوج بين النهجين فكأنه ينفصم إلى شاعرين لا يلتقيان .

كتب عبدالله الطيب مقدمة لمجموعة أشعار صلاح الأخيرة "نحن والردى" مفادها أن صلاح ينسلك فى جذور ضاربة فى الإسلام واللغة العربية مما أضفى على شعره متانة فى المفردات والوزن .أتى عبدالله الطيب بنماذج كثيرة من شعر صلاح توضح ثروة تراثية إسلامية تخللت صلاحا نفسه . صلاح أصلا كما جاء فى مقدمة عبد الله نشأ فى بيت دين سادت فيه اللغة العربية .. يستخلص من هذا أن النظرية فى السودان اذا تجاوزت مبناها الفوقى ستجد فى الأساس منازع تراثية إسلامية صلدة .

صلاح ابّن نفسه بنفسه فى حياته فى بيته المفرد الوجيز البليغ

كفن من طرف السوق

وشبر فى المقابر

واضح أن الشعر الطليعى اعتمد على وزن التفعيلة المتكررة كزى موحد لقصائده . وقد يخرج بعضهم أحيانا إلى الأوزان الخليلية مع قلة فى ذلك .

كان شعراء الجيل الأول قد اعتمدوا على الأوزان التراثية لا يتعدونها إلا فى المزدوج ، وان كنت تجد في قصيدة " اللصوص " للمحجوب هندسةً تزاوج بين بحر الخفيف وشعر التفعيلة . صارت تتنوع هذه الأوزان عند شعراء العقد الثانى فنجد الموشح كما عند عبدالنبى عبدالقادر مرسال "الربيع الأزرق" وشكل المقطع كما عند التجانى "فى الخرطوم" والهادى آدم "أغدا ألقاك" إلى مختلف أشكال الهندسة الوزنية .. بدهى أن شعر التفعيلة الموحدة وان وجد قديما حتى فى الشعر الجاهلى إلا أنه طغى على الشعر العربى المعاصر بعد شاكر السياب .

الخاتمة :-

ظهر شعراء آخرون كثر بعد هؤلاء منهم : مصطفى سند ، محمد الواثق ، النور عثمان أبكر ، محمد عبد الحي ، انقطعت مباشرة الصلة بينهم وبين جيل المحجوب وقد تناولتهم في كتابي "مختارات من الشعر العربي في السودان في القرن العشرين " فيرجع إليهم هناك .

المصادر و المراجع

(1) الشيخ قريب الله أبو صالح : ديوان رشفات المدام ، ص 167، مطبعة الاعتماد ، مصر ، 1959م.

(2) الطيب بابكر : مقدمة ديوان الشيخ إبراهيم التليب ، مطبعة جامعة الخرطوم ، 1976م .

(3) محمد الواثق : مختارات من الشعر العربي في السودان في القرن العشرين ، ص 8 ، الكويت ، 2001م .

(4) نفس المصدر ، ص 49 .

(5) عبد الله عبد الرحمن : ديوان الفجر الصادق ، المقدمة . د. ت . ط .

(6) محمد سعيد العباسي : مقدمة الديوان ، ص 11 ، طبع الدار السودانية ، 1968م .

(7) محمد الواثق ، المصدر السابق ، ص 12 .

(8) محمد سعيد العباسي ، الديوان ، ص 57 .

(9) نفس المصدر ، ص 123 .

(10) نفس المصدر ، ص 41 .

(11) نفس المصدر ، ص 32 .

(12) التجاني يوسف بشير : ديوان إشراقة ، ص 28 ، الطبعة الخامسة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1967م .

(13) نفس المصدر ، ص 58 .

(14) محمد عبد الحي ، الرؤيا و الكلمات ، ص 15 ، دار ابن زيدون ، بيروت ، د. ت .ط .

(15) محمد محمد علي : محاولات في النقد ، ص 48 ، مطبعة التمدن ، الخرطوم ، 1978م.

(16) أحمد محمد صالح : ديوان مع الأحرار ، ص 93 ،طبعة دار البلد ،الخرطوم ، 1999م.

(17) حليم اليازجي : السودان و الحركة الأدبية ، ص 577 ، طبع بيروت ، 1985م .

(18) محمد أحمد المحجوب : ديوان قلب وتجارب ، ص 40 ، طبعة دار البلد ، الخرطوم ،1999م .

(19) محمد أحمد المحجوب : نحو الغد ، ص 52 ، طبعة دار البلد ، الخرطوم ، 1999م .

(20) محمد أحمد المحجوب : ديوان قلب وتجارب ، ص 146 .

(21) محمد المهدي مجذوب : ديوان الشرافة و الهجرة ، ص 213 ، دار التأليف و الترجمة و النشـــر ، جامعـــة الخرطوم ، 1973م .

(22) توفيق صالح جبريل : ديوان أفق وشفق ، الجزء الثالث ، ص 89 ، دار التأليف و الترجمة و النشـــر ، جامعة الخرطوم ، 1972م .

(23) عبد الله الطيب : ديوان أصداء النيل ، ص 113 ، الطبعة الخامسة ، دار جامعة الخرطـــوم للنشـــر ، 1992م .

(24) صلاح أحمد إبراهيم : ديوان غابة الأبنوس ، ص 32 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت. ط.